ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

عمر ابن الفارض: شاعر الحب الالهي،حياته و شعره الصوفي

Umar Ibn-ul-Fariz: Poet of Divine Love His life and Poetry of Sufism

***Dr.Shabana Nazar**

Abstract:

Umer Bin Al-Fariz is a renowned Poet of the Mystics, his Title was "Sultan-ul-Ashaqin". He reached the highest levels in Sufism.He gained understanding in Religion and expanded in Language and Literature. Then he imagined in himself that he would follow the Sufi curriculum, so he traced their trails and learned their Secrets, and visited the holy places in Mecca, then visited and stayed in Mecca for a long time, then returned to Egypt and lived here for the rest of his life with dignity and greatness. He was dignified and respectful of his mysticism and revelation, good-natured, well-groomed, and a lot of piety. His poetry is an expression of a deep spiritual experience. Addition to that his poetry is filled with the terminology of the Sufis, their love and their pain, as well as their pure spiritual virginal love. Ibn al-Fariz is the most knowledgeable of the Sufi poets, and the most famous of them is Sufism. Introduction of Umer Bin Al-Faraz, His Biography, His Poetry, especially his Poetry of Sufism and Intellectual poetry, its Topics and its Sources are enlightned in this paper. This Poetry is a beautiful addition in Arabic Literature. Many Other Poets after Umer Bin Al-Fariz have followed the topics and styles of his poetry, which serve the purpose of a resource and authentic materials.

Key Words: *Umer Bin Al-Fariz, Sultan-ul-Ashaqin, Divine Love, Sufism, Poetry of Sufism.*

حياة عمر ابن الفارض

ا- تعارفه:

وهو ابو القاسم او ابو حفص شرف الدين، عمر بن علي بن مرشد بن علي المعروف بابن الفارض الحموي الاصل، شاعر المتصوفين وكان لقبه سلطان العاشقين.

والفارض لغةً: -بفتح الفاء وبعد الالف راء مفتوحة وبعدها ضاد معجمة- الذي يكتب فروض النساء على الرجال. [1]

ب- نشاته وحياته:

اصل اباء ابن الفارض من "حماة"، وولد ابن الفارض بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة 576 ه، وتفقه في الدين ، وتوسع في اللغة والادب، حتى احرز منهما قسطا وافرا، ثم تخيل في نفسه ان ينهج المنهج الصوفية، فاقتفى اثارهم وتعلم اسرارهم، وزار المبقاع المقدسة في مكة فزار واقام بمكة زمانا طويلا ثم عاد الى مصر فعاش هنا بقية عمره بالكرامة والعظمة، وتوفي بالقاهرة ودفن بسفح المقطم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة 632 ه. [2]

ج- صفاته:

كان على تصوفه وتكشفه وقورا، محمود العشيرة، حسن البزة، جميل الهيئة وظريف المحضر وكثير الورع[3]، فهو كان اذا خرج الى سوق المدينة فكان الناس يزدحمون عليه يطلبون الدعاء منه والبركة، واذا شارك مجلسا جعلت هيبته السنة اهله معقدةً فلا يستطيعون التكلم، واذا اراد كتابة النظم غاب لطول الامد وحتى الى عشرة ايام احيانا، ويقال أنه لا يشرب اثناءه ولا ياكل اثناءها حتى ولا يتحرك، فاذا افاق املى شعره.

د- اصله وموطنه:

اجمع الناس الذين ذكروا ترجمة ابن الفارض على انه حموى الاصل، مصري المولد والوفاة، فهو ولد في حماة بمصر ونشا فيها، وشب في ظلها، وعاش اكثر السنين من حياته بها، ودفن بارضها، فهو مصري المولد، وقال عبد الرحمن جامي: انه يتعلق بقبيلة بني سعد، وهي قبيلة حليمة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ، يروي الشيخ علي عن ولد الشاعر ابن الفارض بانه قال: "رايت الشيخ رضي الله عنه نائما، وهو يقول: صدقت يا رسول الله، واستيقظ من نومه وسالته عن سبب ذلك، فقال: يا ولدي رايت رسول الله ﷺ في المنام، وقال لي: يا عمر لمن تنتسب؟ فقلت: يا رسول الله! انتسب الى بني سعد، قبيلة حليمة السعدية، فقال: لا، بل انت مني، ونسبك متصل بي".

**Assistant Professor, Department of Arabic, The Islamia University of Bahawalpur*

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

ه- تصوف ابن الفارض وعزلته:

تخلى ابن الفارض[4] نفسه الى الحجاز لممارسة العزلة والطقوسة الصوفية فعاش في الوادي قريباً من مكة، فكان يتردد الى المسجد الحرام ويتعبد حتى نال ما كان قصده، فاشرق الله نوره الله في قلبه واضاء له جماله فوصل الى درجة مقام الشهود للذات الالهية. وهو المقام الاعلى عند اهل التصوف، وهذا قصدهم المثلى في نتيجة عبادتهم ومجاهدة نفوسهم. وبعد البلوغ الى غايته اراد ان يعود الى مسقط راسه القاهرة، فقام في الجامع الازهر بقاعة الخطابة فكان يعبد ويتنسك فيه الى آخر حياته حتى توفي.

والقول المجمل: انه وصل إلى المراتب العليا في التصوف لانه قضى اكثر اوقاته منقطعاً للحواس عن هذه الدنيا حتى كان لا يتحرك ولا يتكلم، وكان يبقى على هذه الحالة اياما كثيرة، فاذا كان يفيق من هذه العزلة يشرع كتابة شعره كانه يقوم باشعاره في غياب عن هذا العالم، وشهوده الى الحضرة الالهية، وكذلك ذُكِرت كرامات عجيبة منقولة عنه، فكان الناس يعتقدونه بولايته وصار قصد الزيارة للعام والخاص، كان الناس يصيرون حوله طلبا لدعاء البركة منه، واذا كان يشارك مجالس الذكر ينفعل انفعالا شديدا، حتى العرق يتدفق من جسده، وابرز صفاته المعروفة انه كان احسن الهيبة، مضيئ الوجه وخير المجلس وكان بطبعه رفيقا وجوادا فصيحا، كان الناس يحبون صحبته ويحمدون التعامل معه.

اختار ابن الفارض مقولة الاتحاد في تصوفه وكان يعتقد بان جميع مظاهر الوجود متساوية الشرف والقيمة، لانها كلها تمثل جوانبا الالوهية التي تنبثق من الكون كلها وكذلك جميع الاشياء تنبثق منها، كما تتحد المخلوقات فيها ونور الالوهية تتجلى في المشاهد كلها، ولهذا اختلف العلماء في امر ابن الفارض، فبعضهم يرفعونه الى درجة القطبية العالية، وبعضهم ينزلونه الى الكفر والالحاد والزندقة.

ثانيا: حياة ابن الفارض

قد يقسم الباحثون حياته الفكرية والروحية والتصوفية الى ثلاثة اطوار:

ا- الطور الأول: أيام شبابه

قد اهتم شاعرنا في مرحلة الشباب من حياته بالعبادة والزهد والقناعة والتقشف والتثقف تحت ظل والده، وتعلم عن فقه المذهب الشافعي رحمه الله. وقد اشار الشيخ علي الى زهده في الشباب فيقول: "كنت في اول تجديدي استاذن والدي واطلع الى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم، واوي فيه واقيم في هذه السياحة ليلا ونهارا".

وكذلك صرح ابن العماد بانه: "نشا تحت كنف ابيه في عفاف وصيانة، وعبادة وديانة. وقناعة وورع اسدل عليه لباسه، فلما شب وتسرع اشتغل بفقه الشافعية واخذ الحديث عن ابن عساكر، ثم حبب اليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرد"[5].

والامور التي يجب علينا ان يعتنىٰ بها في فترة شبابه فهي: ان ابن فارض كان متاثرا بعصره من حيث الفكر، وكان هذا العصر الذي انتقلت فيها الخلافة الفاطمية الى الايوبية وكانت الخلافة الفاطمية الشيعية وكانت الخلافة الايوبية السنّية، وصار نظام الدين في الشام ومصر خاضعا لمذهب اهل السنة، وكذلك توجه الناس الى التقشف والزهد لاجل استبداد الحكام والسلاطين ولسبب حروب الصليبيين وايضاً للبلايا الطبيعية كانخفاض ماء النيل والطاعون وغيره.

وايضا نلاحظ بان زمن حياة ابن فارض كانت متزامنةً مع التيارات الصوفية المختلفة، اهمها تياران: احدها التيار الذي كان محافظاً لتعليم الدين وتنفيذ الاحكام والعبادات وكان ماخوذة من كتاب الله وسنة نبيه، والتيار الثاني الذي ما كان محافظاً للتعاليم الدينية وما كان محافظاً بمبادئها واصولها.

ويقول مصطفى الحلمي عن موقف الشاعر حول التيارين بانه: "يمثل التيار الاول مع استثناء بعض ابيات الشاعر توهم في ظاهرها الخروج عن الشرع، ولكنها في حقيقتها ضرب من الشطح الذي يصدر فيه عن الواقع تحت سلطانه اقوال غريبة، تبدو في ظاهرها مخالفة كل المخالفة لما جاء به الدين واحتوت عليه تعاليم الكتاب والسنة".

ب- الطور الثاني: مغادرته الى الحجاز

ينقل الشيخ علي سبب مغادرة ابن فارض الحجاز فيقول: "دخلت المدرسة السيوفية فوجدت رجلا شيخا بقالا يتوضا وضوءا غير مرتب، فقلت له: يا شيخ انت تتوضا وضوءا خارجا عن الترتيب الشرعي، فنظر الي، وقال: يا عمر انت ما يفتح في مصر، وانما يفتح عليك بالحجاز في مكة [6].

يتعجب ابن الفارض، ويقول: يا سيدي واين انا واين مكة ؟ ولا اجد ركبا ولا رفقة في غير اشهر الحج فنظر الي فاشار بيده، وقال: هي مكة امامك، فنظرت معه، فرايت مكة -شرفها الله- فتركته وطلبتها فلم تبرح امامي الى ان دخلتها في ذلك الوقت وجاءني الفتح حين دخلتها فترادف ولم ينقطع".

واشتغل ابن الفارض بالعبادة في ارض مكة خمسة عشر عاما، فيبين مصطفى حلمي اهمية هذه الفترة في حياة ابن الفارض فيقول: "ان اهمية هذا الدور لا ترجع الى ما تمتاز به الحياة الصوفية لابن الفارض من الفتح والكشف فحسب، وانما هي ترجع ايضا الى ما نظمه الشاعر فيه من شعر تبدو عليه المسحة البدوية، وتتردد في ابياته الصور الحجازية".

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

ومنها القصيدة التي مطلعها:

ابرق بدا من جانب الغور لامع

ام ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

انار الغضا ضاءت وسلمى بذي الغضا

ام ابتسمت عما حكته المدامع

قد ذكر الشاعر في هذه القصيدة اماكن الحجاز، وذكر وصف المحبوبة حسب عادة القدماء، والبس زيا بدويا جميلا بها.

ج- الطور الثالث: الرجعة الى القاهرة وانقطاع الفتح وانسداد باب الكشف عليه

رجع الشاعر الى القاهرة على ارشاد الشيخ البقال، فيقول عن سبب رجعته: "سمعت الشيخ البقال يناديني، يا عمر تعال الى القاهرة احضر وفاتي وصل علي"، فلبّى دعوته وعاد الى القاهرة.

فهو تعتبر هذه الفترة فترة الانقطاع عن الكشف الذي يشير اليها:

نقلتني عنها الحظوظ فجُذّت

و ارادتي و لم تدم اورادي

اه لو يسمح الزمان بعود

فعسى ان تعود لي اعيادي [7]

عاد الى مصر سنة (628ه) ولكن بعد رجعته الى مصر كان يحزن دائما بسبب تركه تلك الديار المقدسة، وكان الايوبيون يسوّدونها ويهتمون بتخليد ذكرهم فيها ببناء المساجد والمعاهد والمدارس وببناء الخانقاهات لمقاومة طريقة الفاطميين، لذالك كان هذا العصر مهدا لتعاليم فكر التصوف، واصبح هذا الجو مناسبا لابن الفارض، فتلاه الشعر الصوفي كنجمة في السماء.

صادفت حياة الشاعر مع خلافة اربعة الملوك (١) صلاح الدين (٢) العزيز (٣) العادل (٤) الكامل. وكلهم كانوا يحترمونه، ويحضرون في مجالسه، فاشار الشيخ علي الى رغبة السلاطين الي ابن فارض والادب قائلا: "كان الشيخ جالسا في الجامع الازهر على باب قاعة الخطابة وعنده جماعة من الفقراء والامراء وجماعة من مشايخ الاعاجم المجاورين بالجامع الازهر وغيرهم، وايضا كان السلطان الملك العادل اهل علم ويحاضرهم في مجلس مختص بهم وكان يميل الى فن الادب".

د- اسلوبه ومؤلفاته:

لابن الفارض آثار ادبية وكذلك صوفية وهي غير ديوانه، وحجم ديوانه صغير الذي اشتمل الف وثمان مئة وخمسين بيتا (1850)، وديوانه من احسن الدواوين العربية على صغر حجمه من حيث الأسلوب والموضوع، ويحتوي موضوعاً واحداً الذي هو شعر التصوف في الخمر والحب[8].

ولديوانه خصائص واظهر الناحية الفنية ما يمتاز به شعره هو: الاسراف في صياغة الالفاظ او الاغراق في المحسنات البديعية، على سبيل المثال:

سهم شهم القوم اشوى وشوى

سهم الحاظكم احشاي شي

وهو طبيعي لان ابن فارض كان يعيش في الزمن الذي امتاز بكثرة البديع والطباق والجناس، وهذا العصر عصر التكلف والتصنع، ويرى المقدسي بانه: "قد نشا في عصر بلغت فيه الاناقة البديعية نثرا ونظما اعلى درجاتها، فهو عصر القاضي الفاضل، والعماد الاصبهاني، وبهاء الدين، وزهير وابن نساء الملك ...، وقد عرفت هذه الطبقة جميعها بولعها الشديد بالصناعة اللفظية وتكلف انواع البديع".

هذا من الناحية الفنّية، اما من الناحية الصوفية كان ديوان شاعرنا ثمرة صالحة، ذو نزعة صوفية واضحة لما امتازت به نفس الشاعر من "دقة الشعور ودقة الحس وسمو العاطفة التي سيطرت على نفسه سيطرة قوية، فاذا هو يقضي حياته مقبلا على محبوبه كلفا به مشوقا اليه مفنيا نفسه فيه، حتى ظفر من هذا كله بما قرت به عينه واطمان اليه قلبه، من اتصال بالذات العليا وكشف للحقيقة المطلقة التي هي عنده كل شيء في هذا الوجود ، واليها يرد كل موجود ، ومن هنا كان ديوان شاعرنا انشودة جميلة من اناشيد الحب، وهتافا صادقا رددته نفس الشاعر في رياض القلب.

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

ا- شعره:

شعر ابن الفارض يكاد ينحصر حديثه عن الحب بالدرجة الاولى، فيه تعبير عن مختلف هذا الحب من هجر ولقاء ومناجاة وبكاء وفرح ووصف لجمال المحبوبة المادي والمعنوي [9]فابن الفارض شغل بالشعر فيما يقارب اربعين سنة كان فيها فحلا من فحول الشعراء كونه وصل الى الجمع بين الخيال والحقيقة وهذه الاخيرة تعد الصورة الروحية والخيال هو الصورة الحسية الرامزة الى المعنويات فشعره تعبيرا عن تجربة روحية عميقة [10] ضف الى ذلك شعره مملوء باصطلاحات الصوفيين وعشقهم والامهم وكذا حبهم العذري الروحي الخالص.
فابن الفارض اشعر الشعراء الصوفيين واشهرهم تصوف مما يغلب على شعره اسلوب عصره الذي هو عصر القاضي الفاضل، والعماد الاصبهاني، وابن النبيه، وابن سناد الملك وغيرهم [11].

ب- خصائص شعره:

يتميز شعر ابن الفارض بخصائص عديدة هي:

1. عواطف ابن الفارض توزعت بين عالمي العادة والروح، بحيث اكثر اشعاره تعبر نفس شريفة ماثرة في نفوس الناس.
2. اعتماده طريقة الالغاز في شعره ومن ذلك قوله في" البطيخ:"

"خَيَّرُونِي عَنْ اسمِ شَيْءٍ شَهِيّ اسْمُهُ ظَلَّ، فِي الفَوَاكِهِ، سَائِرْ"
"نِصْفُهُ طَائِرٌ، وَإِنْ صَحَّفُوا مَا غَادَرُوا مِنْ حُرُوفِهِ، فَهْوَ طَائِرْ"

3. اكثر في شعره استعمال التصغير وله الفاظ كثيرة نذكر منها : اهيل (تصغير اهل) ، اميلح (تصغير املح) ، احيلى (تصغير احلى)، فتّي (تصغير فتى)...
4. اكثر من اوصاف الضعف والضنى والنحول واصبح ميزة تميزه عن غيره:

"خَفَيْتُ ضَنِي حَتَى خَفَيْتُ عَنْ الضَنَى وَعَنْ بَرْءِ اسْقَامِي وَيَرُدُ اوَامِي"
"وَ لَمْ يَبْقَ مِنْ الحُبِ غَيْرَ كَابَةٍ وَ حُزن وَ تَبْرِيحِ وَفَرْطِ سِقَامِ"

5. تعددت في اشعاره اسماء الحبيبة لكن المقصود بها، جميعا محبوبته.
6. اكثر في شعره من ذكر طيف المحبوب وخياله وذلك راجع الى حالات الوجد التي كانت تصيبه:

"لمْ اخَلْ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَلا تَضِعْ سَهَرِي بِتَشْنِيعِ الخَيَالِ المُرْجَفِ"
"وَلَمْ اسْالْ نُجُومَ اللَّيْلِ : هَلْ ا زرَ الكرَى جَفْنِي وَكَيْفَ يَزُورُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ"

7. تكثر في شعره اسماء الخمرة واصافها:

"يَقُولُونَ لِي :صِفْهَا فَانْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ، اجَلْ ! عِنْدِي بِاوْصَافِهَا عِلْمُ"
"صَفَاءٌ وَلا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلا هَوَى وَ نُورٌ وَ لا نَارٌ وَ لا رُوحٌ ولا جِسْمُ"

8- تعدد في اشعاره الفاظ الحب واختلفت اسماؤه.
9: اكثر اشعاره في الحنين، قالها عن الحجاز، واما مصر فلا تمرّ في شعره الا قليلا، ومن ذلك ما قاله في مناجاته لاهل نجد:

مُذْ غِبْتُمْ عَنْ نَاظِرِي لِي انَّهُ مَلَاتْ نَوَاحِي ارْضَ مِصْرَ نُوَاحًا[12])

10: شعره مزيج من التكلف والفطرة فهو شاعر بالاصل وقع في بعض التكلف احيانا وقد جارى في ذلك شعراء العصر، خاصة في استعمال فنون البديع.
11: في شعر ابن الفارض اقتباسات من القران الكريم والحديث الشريف وإحالات اليها، ومن احالاته قوله في التائية الكبرى:

اتَيْتُ بُيُوتًا لَمْ تُتَلْ مِنْ ظُهُورِهَا وَابْوَابُهَا عَنْ قَرْعِ مِثْلِكَ سُدَّتْ
وَبَيْنَ يَدَيَ وَنَجْوَاكَ قَدَّمْتُ زَخْرُفًا تَرُومُ بِهِ عِزٌّ مَ ا رمِيهِ عِزَّتِ

معنى الابيات مقتبس من قوله تعالى((" وَلَيْسَ البِرُّ انْ تَاتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا")) [13]
وقول ابن الفارض:

وَلا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ اشَارَةٌ لِكَفِّ يَدٍ صُدَّتْ لَهُ اذْ تَصَدَّتِ

فيه احالة على قول الله تعالى: ((وَلا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ الا بِالتِي هِيَ احْسَنُ)).[14]

ج- تصوفه:

لقد شاع عن ابن الفارض ميله منذ صغره الى التدين والتلذذ بالخلوة والتجرد الروحي، اذ كان يتجه الى المساجد المهجورة في اطراف جبل" المقطم "للاعتكاف والتّعبد لعدة ايام.[15]
اذ سجل" يوحنا قمير "حالات ابن الفارض، رواها له ولده" محمد بن الفارض "منها:

1. في مرة من المرات، كان ابن الفارض نائما مستلقيا على ظهره وهو يقول" :صدقت يارسول الله صدقت يا رسول الله! " بصوت مرتفع وهو يشير باصبعيه اليمنى واليسرى، وبقي يردد ذلك حتى بعد استيقاظه، فساله ولده عن سبب ذلك، فاخبره انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يساله عن نسبه فاجابه عمر انه ينتسب الى بني سعد– قبيلة السيدة حليمة السعدية - لكن الرسول صلى الله عليه وسلم نفى له ذلك وقال له ان نسبه ينتهي اليه ومتصل به، فبقي ابن الفارض يشرح للرسول صلى الله

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

عليه وسلم ان نسب اباه وجده ينتهي الى بني سعد، فمد محمد صلى الله عليه وسلم صوته قائلا :"بل انت مني ونسبك متصل بي، فراح ابن الفارض يردد: "صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله"[16]

2. سمع" محمد بن الفارض "اباه يروي انه حصلت منه هفوة فاحس بضيق في داخله فخرج كالهارب من امر عظيم فعله، وقصد جبل المقطم وهو يبكي ويستغفر فلم ترتح نفسه، فذهب الى جامع "عمرو بن العاص "بمصر واخذ يبكي ويتضرع فغلب عليه حال مزعج لم يجد مثله وصرخ قائلا:

مَنْ ذَا الذِ ي مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الحُسْنَ فَقَطْ

فسمع صوتا بين السماء والارض:

مُحَمَدُ الهَادِي الذِي عَلَيْهِ جِبْرِيلُ هَبَطْ

1. بينما كان ابن الفارض يمشي في احدى الشوارع اذ سمع نائحة تندب وهي تقول:

سِتِي مِتِّي مِتِّي حَقا ايْ وَاللهِ حقا حَقا

فصرخ صرخة عظيمة، وسقط مغميا عليه ولما افاق راح يردد:

نَفْسِي مِتِّي مِتِّي حَقا ايْ وَاللهِ حقا حَقا[17]

2. كما كان عمر ابن الفارض يتردد على المسجد المعروف بالمشتهى، سمع مرة احدهم يضرب مقطعا على الحجر وهو يقول:

قَطَّعَ قَلْبِي هَذَا المَقْطَعْ مَا كَانَ يَصْف و اوْ يَتَقَطَّعْ

فبدا ابن الفارض بالصراخ، مرددا ذلك وهو مضطرب يتقلب على الارض، ثم يهدا حتى يظن من يراه انه ميت، ثم يستفيق فيقول كلاما ما لم يسمع مثله، وبقي على تلك الحال حتى توفي[18].

قيل عن" عمر ابن الفارض "انه كثير الشرودْ، لا يسمع من يكلمه ولا يراه وهو اما واقفا او جالسا او مستلقيا على جنبه مرة وعلى ظهره مرة، وتمر عليه الايام وهو على هذه الحال، وقد تبلغ الاربعين يوما، وهو صائم، ولا ياكل ولا يشرب، ولا يتكلم ولا يتحرك، فقد صدق عليه قول القائل:

تَرَى المُحِبِينَ صَرْعَى فِي دِيَّارِهِمْ كَفِتْيَةِ الكَهْفِ لا يَدْرُونَ كَمْ لَبِثُوا

ثم حين يفيق من غيبته، اول ما يفعله هو ان يملي من قصيدته" نظم السلوك "ثلاثين اربعين او خمسين بيتا[19].

اذا فقد كان ابن الفارض ينظم اشعاره في حالات غيباته، وقد قيل انه اكتفى بنثر

اراه على غير نظام في شعر جميل حقا احيانا، ومتكلفا احيانا اخرى، فهو بذلك ادنى مرتبة من محي الدين بن عربي الذي اراد تاسيس نظام عقلي[20] لابن الفارض ديوان يعتبر صغير الحجم، يصل عدد ابياته الى الف وثمانمائة وخمسين بيتا، وهو على صغر حجمه من احسن الدواوين العربية موضوعا واسلوبا ويرى الاستاذ "المقدسي" ان شعر ابن الفارض قبل ان يذهب الى الحجاز اقل عبقرية من الشعر الذي نظمه بعد ذهابه الى الحجاز، فهو يقول: "هناك بين المناسك المقدسة نضجت شاع ريته وكملت مواهبه الروحية". [21]

وعلى هذا الاساس، فان الدكتور "عمر فروخ" في كتابه "التصوف في الاسلام" يرى ان جميع قصائد ابن الفارض الكبرى قد نظمت بعد رجوعه من الحجاز، اما المقطعات والالغاز فقد قيلت في مصر قبل رحلته مستدلا على ذلك بالاشارات التاريخية الواردة في القصائد وكذلك الاسلوب والخيال. حاول" جلال الدين السيوطي" (ت 911 هـ بالقاهرة) شرح ديوان ابن الفارض لكنه شرح منه قصيدة واحدة هي: "سائق الاضغان" وهي قصيدة موضوعها التغزل بالحجاز واهله ومطلعها:

سائِقَ الاضْغانِ يَطْوِي ا لَبيَد طَيّ مُنْعِمًا عَرَّجْ عَلَى كُثْبَانِ طَيْ

ثم جاء الشيخ" بدر الدين الحسن بن محمد الدمشقي الصفوري "المشهور" بالبوريني "(توفي 24هـ) وشرح كل الديوان الا "التائية الكبرى "شرحا لغويا، نحويا، وبلاغيا.

ويعده الشيخ" عبد الغني النابلسي "(توفي سنة 1143 هـ بدمشق) الذي علق على شرح البوريني واكد على المعاني الصوفية بشكل اكثر تعقيدا من معاني ابن الفارض ،روى ولد ابن الفارض ان رجلا حضر احدى مجالسه، واستاذن الشيخ في شرح قصيدة" نظم السلوك "فساله:" في كم مجلد تشرحها؟ "فقال له" :في مجلدين "فتبسم ابن الفارض وقال" :لو شئت لرحت كل بيت على مجلدين"[22].

ولعل في ذلك دلالة على عمق معاني ابن الفارض، وما تنطوي عليه من اشا ارت ورموز ع رفانية يصعب فهمها فضلا عن شرحها.

ثانيا :الحب الالهي في شعر ابن الفارض

في كل عصر من العصور المتصوفة تحمل سمة الحب، الذين احتجوا له بايات قرانية لقوله تعالى: ((فَسَوْفَ يَاتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُونَهُ)) وكذلك قوله:

((يُحِبُونَهُمْ كَحُبِ الله وَالذِينَ امَنُوا اشَدُّ حُبا لله))

وايضا قوله تعالى:

((قُلْ انْ كُنْتُمْ تُحِبُونَ الله فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ الله))[23].

فالصوفية يحبون الله حبا صافٍ، بلا علة[24]، لا غاية لهم من هذا الحب والمحبة لديها هي "الميل الدائم بالقلب الهائم" وعرفوها كذلك بانها "محو المحب بصفاته وإ ثبات المحبوب بذاته"[25] والفكرة المشتركة بين هذه التعاريف فناء وإنكار الانسان لذاته وبقاؤه مع ربه. (262)

فالشاعر لا يمكن له التعبير عن الحب الروحاني المطلق الا بلغة مادية تمثيلية، فهو يحاول نقل صورة ما يتخيله ليصل بكلماته لاذهان الناس، فيتحدث عن العزة الالهية بلغة تحمل عاطفة بشرية مثل قوله:

لَهُ خَالٌ عَلَى صَفَحَاتِ خَدِ كَنُقْطَةِ عَنْبَرٍ فِي صَحْ ي مَرْمَرِ
وَالْحَاظٌ بِاسْيَافٍ تُنَادِي عَلَى عَاصِي الهَوَى، الله اكْبَرِ [27]

وقد اطلع ابن الفارض على الادب العربي وما يحمله من رمزية في الشعر ونقله الى مستوى الحب الالهي ببراعة فائقة، فمظاهر الطبيعة عاكسة لوجود الكائن الاسمى بقوله:

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

اهْفُو لِإنْفَاسِ النَسِيمِ تَلْعَةً وَلِوَجْهِ مِنْ نَقَلْتُ شُذَاهُ تَشَوُفِ
وَإنْ اكْتَفَى غَيْرِي بِطَيْفِ خَيَالِهِ فَانَا الذّي بِوِصَالِهِ لا اكْتَفِي ([28])

الفناء :هو الحالة النفسية التي يغيب فيها الصوفي عن نفسه واوصافها ويستغرق في الحق بحيث يعود الى ما كان عليه قبل وجود الكون.

ا- ابن الفارض : شاعر الحب الالهي

المحبة ميل الجميل الى الجمال بدلالة المشاهدة ، كما ورد : "ان الله جميل ويحب الجمال"، والجمال الحقيقي صفة ازلية لله سبحانه مشاهد في ذاته ازلا مشاهدة علمية ، فاراد ان يراه في صفته مشاهدة عينية ، فخلق العالم كمراة شاهد فيه عين جماله عيانا، وقوله (ص): كنت كنزا مخفية فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق الواقع ان الحب بما يحويه من الهامات واشراقات واحاسيس ومشاعر ومواجيد لا يمكن شرح اسراره وتحديد معناه ، وتعريف محتواه بالفاظ وكلمات ، لان الكلام لا يستطيع الغور الى معرفة كنه الاسرار، وحقيقة المشاعر والخلجات ، حتى ليصدق فيه القول القائل : "من ذاق عرف" ولكن بالضرورة يجب علينا ان نعرف "الحب" لغة واصطلاحا.

ب - الحب لغة

الحب : نقيض البغض . والحب : الوداد والمحبة ، واحَبَّه فهو مُحِبٌّ وهو محبوب . والمحبيه ايضا : اسم للحب » وتحبب اليه : تودد. والحب : الحبيب ، مثل خدن وخدين .. الحبيب يجيء تارة بمعنى الحب ويجيء تارة بمعنى المحبوب . وجمع الحب ، احباب وحِبّان وحبوب وحبيبة وحبّ. والتحبّب: اظهار الحب ... وهم يتحابون : اي يحب بعضهم بعضا

وقد تعددت في اشعار ابن الفارض الفاظ الحب واختلفت اسماؤه وقيل انها تزيد على الخمسين منها :المحبة، العلاقة، الهوى، الصبوة، الغرام ، الصبابة، الشغف، التباريح، الوهنّ، الشجن، اللوعة الكمدة، الفتون، الهيام، التعبد ...وغيرها [29].

ج- ابن الفارض بين الحب الالهي والحب الانساني:

يعتبر ابن الفارض سلطان المحبين والعشاق، فقد عرف بانه" شاعر الحب"، لكن الدارسين انقسموا طائفتين في تصنيفهم لحب ابن الفارض، فطائفة ترى انه لا يخرج عن سبيل العشاق الغزليين الذين وصفوا الجمال الانساني، ومنهم" ابن ابي حجلة "الذي جعل غزله عاديا كغزل ابن ابي ربيعة، وعباس بن الاحنف، البهاء زهير...، وطائفة ترى ان هناك قصائد لابن الفارض لا تفسر الا تفسيرا باطنيا رمزيا (صوفيا) ويستدلون بخمريته التي لو قورنت مع خمريات ابي نواس لكان الفرق واضحا جليا رغم ما يُتوهم من التشابه. [30]

ومن هذا المنطلق يبرز التساؤل الاتي :هل احب ابن الفارض حبا انسانيا خالصا؟ وهل عرف مواجد هذا الحب فانعكس على شعره؟ يورد الدكتور" محمد مصطفى حلمي "في كتابه" ابن الفارض والحب الالهي "ان ابن الفارض احب حبا انسانيا وصور ذلك في شعره كقوله:

وَلَمَا تَلاقِينَا عَشَاءً وَضَمَّنَا سَوَاءُ سَبِيلِي دَارَهَا وَخِيَامِي
وَمَلَنَا كَذَا شَيْئًا عَنْ الحَيّ حَيْثُ رَقِيبٌ وَلا وَاشٍ بُزُورِ كَلامِ
فَرِشْتُ لَهَا خَدِي وَطَاءً عَلَى الثَّرَى فَقَالَتْ لَكَ البُشْرَى بِلَثْمِ ل ثَامِي
فَمَا سَمَحَتْ نَفْسِي بِذَلِكَ غَيْرَةً عَلَى صَوْنِهَا مِنّي لِعِزّ مَ ا رمِي
وَبِتْنَا كَمَا شَاءَ اقْتِ ا رحِي عَلَى المُنَى ارَى المُلْكَ مُلْكِي وَالزَّمَانُ غُلامِي

فالابيات تصور لقاء الشاعر بمحبوبته، وما بلغته نفسه من الروحانية والصفاء والتنزه عن شهوات البدن([31]) ويرى" حسن البوريني "ان كلام الشيخ ابن الفارض ليس منزلا كله على قانون الحقيقة ففيه ما لا يصلح للمجاز ويستدل بقول الشاعر:

"اهْوَاهُ مُهَفْهِفًا ثَقِيلَ الرّدْفِ كَالبَدْرِ يَجِلُّ حُسْنُهُ عَنْ الوَصْفِ"

وقوله ايضا:

"مَا احْسَنَ مَا بِثْنَا مَعًا فِي بُرْدٍ اذْ لاصَقَ خَدُّهُ اعْتِنَاقًا خَدِّي"

على عكس" النابلسي "الذي شرح البيتين على انهما كنايات واوّلهما تاويلا صوفيا، وليس بعيدا ان يكون ابن الفارض قد احب، لكنه تسامى بحبه فكان التحول في حياته العاطفية والانتقال من الحب الانساني الى الحب الالهي. [32]

وتعتبر" التائية الكبرى "ترجمة لحياة ابن الفارض الروحية وسلوكه سبيل الحب الالهي، وما لاقاه من الام وما احتمله من مشاق، فهو يعتقد ان الحب الالهي انما هو منحة من الله عز وجل امتزجت بروحه قبل نزولها الى العالم الاسفل وقبل ان تشوبها شوائب المادة[33]

ولا معنى للحياة – عند ابن الفارض - دون ذلك الحب، فدونه تصبح فارغة خاوية، وهو القائل:

انَّ الغَرَامَ هُوَ الحَيَاةُ فَمُتْ بِهِ صَبًّا فَحَقُّكَ انْ تَمُوتَ وتُعْذَرَا

وهو القائل:

منْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يَعِشْ بِهِ وَدُونَ اجْت نَاءِ النَّحْلَ مَا جَنَتِ النَحْلُ [34]

ثالثا: الحب الالهي عند ابن الفارض واطواره

اذا تاملنا ديوان ابن الفارض نلاحظ انه كان مقتصرا على تصوير عاطفة الحب الالهي التي كان يستعملها في التعبير على الفاظ الغزليين او الخمريين ، فاضطرب المفسرون في تاويله على مذهبه في الحب الالهي ، لذا ذهب الكثير من الاخذون بظاهر الالفاظ والمعاني الى ان ابن الفارض يتغنى غزلا كغيره من الشعراء الذين يتغنون حب ليلى او بثينة او سعاد ، او الشعراء الذين يستعملون في صرا احة كل ما يتصل بالخمر من " حان " و "دن " و " كاس " و " قدح " و " سكر " و " نشوة " و " الحان " و " ندمان " وما شان هذه الالفاظ .

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

ولكن يتوسع الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه عن ابن الفارض ، فيتساءل عن اي نوع من الحب كان يتغناه ابن الفارض مع محبوبه وما هو اسلوبه في ذلك وما هو شان هذه الالفاظ التي يعبر عنها ابن الفارض عن حبه ، وعن خمره ، هل يعبر بها عن حب انساني ويصف فيها خمر مادية او انه يتخذ من هذا كله رموزا وكتابات يشير بها الى حب الهي والى خمر روحية.

فيستنتج حلمي يمكن لنا ان نقسم الغزل في شعر ابن الفارض على نوعين:

احدهما: الغزل الالهي الانساني.

ثانيهما: الغزل الالهي الخالص.

يقول: يؤول في غزل الشاعر تاويلين مختلفين: احدهما: في ان المحبوب ليس الا ذات الاله وثانيهما: في ان هذا المحبوب ليس الا مخلوق من البشر، وكذالك نرى ان غزل الشاعر يمكن القول فيه بانه الهي بقدر ما هو انساني، والشطر الاكبر من ديوانه من هذا النوع للغزل ذي الوجهين.

والحلمي يستثني عن هذا الحكم القصيدتين من ديوان ابن الفارض "التائية الكبرى" و "الخمرية" فيقول: ان الحب الذي تصور حب الالهي الخالص، واذا وافقنا فيهما ابيات يمكن لنا ان نفهم انها غزل انساني او خمري، فاليسير نزول هذه الابيات تاويلا تصوفيا وخاصةً ان اسلوب الايماء والرمز واضح هنا.

فيظهر لنا في هذا الصدد ان اشعاره في حب الالهي تنقسم في نوعين من الحب؛ اولهما: الحب الالهي الانساني وثانيهما: الحب الالهي الخالص.

الاول: الحب الالهي الانساني:

ونلاحظ في اكثر اشعاره انه يخاطب فيها محبوبه او محبوبته، فمثلا يقول:

"ما رات، مثلك، عيني حسنا

وكمثلي، بلك صبا، لم تري

نسب اقرب، في شرع الهوى

بيننا، بل نسب من ابوي"

فاذا قرأت البيت الاول: تلمس نوعا للمخاطبة التي يستعملها الشاعر في تعبير اعجابه بالمحبوبة كانها قائمة امامه وتتكلم معه، فلا يمكن فيه كون الخطاب متوجهة الى الله، لان التوجيه في هذه الالفاظ امر لا يليق بالذات الالهية بل هذا الخطاب لائق الى المحبوب الانساني.

واذا نظرنا الى البيت الثاني: فهو لا يترك مجال الشك بان ما فيه فيقال لغير المحبوبة الانسانية، لان الشاعر يقول: بان النسب بينه وبين محبوبه اقوى من نسيه مع والديه، فلهذا يبين هذا النوع في الحب الالهي الانساني، لان ظاهر التعبير في اشعاره هي تعبير التي توجه الى بشر مثله، ولكن في حقيقته تشتمل على المعاني الباطنة خطابا لايبتعد في التوجيه عن الله تعالى، فيقول: "ولكنك لو اعملت فكرك، وهيات تفسك لشيء من التحليل والتاويل، لوصلت في النهاية الى ان هذا الخطاب لا يبعد توجيهه الى الله، وهذه المسالة يمكن حلها حلا قد يكون قريبة الى الحق، وموافقا لطبيعة التصوف".

الثاني الحب الالهي الخالص:

اما الغزل الالهي الخالص الذي يستعمله شاعرنا في اشعاره فكان واضحا في قسم طريقة التعبير عن عشقه الالهي او مخاطبته، وهذا من بين استعماله عنصرين: التلويح والرمز، فتجده في البيت التالي يقول:

"شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم"

فتلك العدامة التي يصفها الشاعر في الخمرية، فهي روحية خالصة شربها من قبل ان يخلق الكرم اي من قبل ان تهبط روحه من عالم الامر الى عالم الحس وتتصل بالبدن. هذا الحب الالهي الذي نراه في ابن الفارض لم يات مرة واحدة، اي لم يكن على مستوى واحد في

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

التعبير عن نوع الحب الذي استعمله لربه، بلمر بعدة اطوار حملت تغييرات كثيرة في نفس ابن الفارض، حتى وصل في اخر طور الى الحالة المثالية القصوى في طريقة تعلقه وتغزله بالذات الالهية.

الطور الاول؛ حب الهوى

في هذا الطور يظهر لنا ابن الفارض حبه الله ناقصا مشوبا بشوائب الحسن و اشبه ما يكون بالحب البشري ، او ما ذكرته رابعة العدوية بحب الهوى في مقابل حب الله لذاته ، كما اشرنا انفا.

ويدرك الشاعر في هذا الطور بان الوصول الى المحبوبة الاصلية والتثبت بشهود الذات لا تتحققان بالحياة النفسية، بل تتحققان بالموت، لان الموت هو الذي لا تبقى معه بقية حظ او مطمع غرض، وتخلص فيه النقل من كل العلائق.

فهو قد اصبح راضية عن هذا الموت في سبيل المحبة ويقول

اجل احلى ارضى القضاه صبابة

ولا وصل ، ان صحت ، لحبك نسيتي

فالمحب يرضى عن موته وفنائه لانه يرى فيه سعادته وحياته ، فيقول

وقد صرت ارجو ما يخاف فاسعدي

به روح ميت للحياة استعدت

الطور الثاني؛ مغادرة الهوى والوصول الى الفناء التام والاهتمام بارادة المحبوبة

في هذا الطور نعلم معنى الفناء عند ابن الفارض فيجب علينا ان نعرف انواع الفناء، فالفناء على ثلاثة انواع؛ الاول: الفناء عن وجود السوى: فهذا الفناء عند اهل وحدة الوجود. الثاني: الفناء عن شهود السوي: وهذا الذي اشار اليه اكثر اهل التصوف من المتاخرين وهم يعتبرونه غاية، ولا يكون مرادهم فناء غير الله في الخارج ولكن فناءه الحسي والشهودي، الثالث: الفناء عن ارادة السوى: فهذا فناء الاولياء الخاصة وكذلك للائمة المقربين، فالسالك فيه يفني بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه، فضلا عن ارادة غيره، ويتحد مراده بمراد محبوبه، اعني المراد الديني الامري لا المراد الكوني القدري، فصار المرادان واحدا، وليس في العقل اتحاد صحيح الا هذا.

فيتساءل "حلمي" فمن ايها كان فناء ابن الفارض؟ فاجاب: اذا تاملنا في ابيات ابن الفارض التي يشير فيها الى الفناء، نرى ان فناء ابن الفارض قد جمع بين الفناء عن "ارادة السوي" وبين الفناء عن شهود السوى.

حيث قال الشاعر

رفع حجاب النفس عنها بكشفي النقاب ، فكانت عن سؤالي مجيبتي وكنت جلا مراة ذاتي من صدا » صفاتي ، ومني احدقت باشعة و اشهدتني اتياني ، اذ لا سواي ، في شهودي ، موجود . فيقضي بزحمة ».

وترى ان الفناء هنا ليس الا فناء عن شهود السوى ، خاصة في البيت الاخير ، واما فناء ابن الفارض عن ارادة السوي فذلك امر واضح يدل عليه قسم كبير من ابيات التائية الكبرى ومنها

وصرت بها صبا ، فلما تركت ما

اريد ، ارادتنى لها واحبّت

فصرت حبيبا ، بل محب لنفسه

وليس كقول مرّ ، ففسى حبيبتي

يعني « كنت من قبل عاشقا لها صبا بها مريدا وصالها ، فلما تركت ارادتني وفنيت بها عن جميع المرادات واحببتها لذاتها ارادتني المحبوبة لنفسها واحبتني فصر محبوبة بعدما كنت محبا ».

ونرى انه يشير هنا بما يفهم منه ان فناءه كان فناء عن " ارادة السوي ، وهذا الفناء الذي حصل لابن الفارض في الطور الثاني ، هو الذي يؤدي الى الاتحاد الذي اشار اليه " الجرجائي " قائلا بانه : « شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود به فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودة به ، معدوما بنفسه لا من حيث ان وجودة خاصا اتحد به فانه محال ».

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

الطور الثالث : الوصال

في الصور الاول ، قد فنى السحب على حظوظه و علائقه وفي الطور الثاني ، فني عن ذاته وعن كل شيء ويزيد الا يكون شيئا ، وفي الطور الثالث اصبح فانيا عن نفسه باقيا بمحبوبه " الفناء " و " البقاء " في هذا الطور يكونان للشخص في زمان واحد ولكن من نسبتين مختلفتين ، ويشرح كاشاني هذا المعنى في رشح الزلال قائلا بانها « متلازمان ، فان الفناء عن كذا من النسب الكونية ، مستلزم للبقاء بكاء من النسب الخفية ، كفلاء العبد عن فعله ، مستلزم لبقائه بفعله تعالى ، فيقال اذن : انه قائم على كل شيء بفعل الحق لا بفعل نفسه ، وفناؤه علن وصفه يستلزم بقاءه بوصفه تعالى ، وكذلك فناؤه عن ذاته بقاءه بذاته تعالى ".

وهذا هو الذي يسميه الصوفية " صحو الجمع " او " الصحو الثاني " و هو حالة الشهود التي يشعر فيها الصوفي اتحاد المخلوق بالخالق مع شعوره بالتميز بينهما.

في الطور الثاني ، يغيب الصوفي عن جميع صفاته واثاره ، اما في هذا الطور « يعود اليه ادراكه بهذه الصفات التي تزداد وضوحا لانها تتحول الى صات روحية بحتة ، ومعنى هذا ان ارقى احوال الصوفية حالة ايجابية لا السلبية ، لان الصوفي يشعر فيها ببقائه لا بفنانة ، ولكنه بقاء بالصفات الالهية والاعمال الالهية لا بصفاته هوو اعماله . فهو يظهر بين الناس بهذه الصفات و الاعمال ، ولكنه يحتفظ لنفسه بالصلة الشخصية التي تربطه بالحق ، ويشعر انه متحد به مع مخالفته تعالى للحوادث » .

و هذا الطور لم يكن اخر ما انتهت اليه حياة ابن الفارض الروحية على طريق المحبة الالهية ، بل انه جاوزه واطلق نفسه على الوقوف مع الحب و الفناء والاتحاد ، لان وقوفه معهم حجاب من شانه ان يحجبه عن مشاهدة الذات العليا، لذا.

يقول

فنا الحب ها قد بنت عنه بحكم من

يراه حجابا فالهوى دون رتبتي

وجاوزت حد العشق فالحب كالقلى

وعن شاو معراج اتحادي رحلتي

وخلاصة الكلام: ان ابن الفارض فيما وصل اليه في اخر اطوار حبه من اتحاد، ومما يتجاوز الاتحاد ، وفيما انكشف له في هذه الاطوار من حقائق ومشاهدات، يصطنع منهجا نفسيا خالصا قوامه الذوق والوجد، ودعامته تطهير النفس ...، ولعل تاريخ الاداب الصوفية العربية لا يعرف شاعرا وقف حياته الروحية كها على حب الله والتغني بجمال ذاته كما فعل ابن الفارض.

فيعد بحق سلطان العاشقين وامام المحبين.

رابعا: خمرية ابن الفارض

ان الخمرة تمثل موضوعا بارزا في الشعر العربي التراثي، يكاد يكون قريبا من المقدمة الطللية وذلك لما يتركه في نفس الشاعر من اثر جلي، وما يحدثه من ارباك في العقل، وما يمثله من هروب من الواقع. (35)

وقد تصرف العرب في اسماؤها وكنها بحسب اللون ودرجة الاسكار والبلاد التي كانت تجلب منها ومن ذلك انهم كانوا يسمون نبيذ الشعير الجعة، ونبيذ العسل البتع، والسكركة اسم معرب لخمر الجشة، ومن بين الشعراء الجاهليين الذين اشتهروا بالحديث عنها، ودار في شعرهم وصف كؤوسها وحوانيتها ومجالسها، اعشى قيس، وعدي بن زيد الحيري، وقد عرض لها كثيرون اشعارهم مفاخرين بانهم يحتسونها ويقدمونها لرفاقهم، واكثر من كان يتجربها اليهود والنصارى . (36)

ولعل احسن من يمثل هذا التيار ابن الفارض الذي حفلت تائيته وميميته بتلويحات خمرية متنوعة غير ان الميمية" الخمرية " تعبيرا صوفيا مرموزا عن معان نفسية واحوال وجدانية، وقد اشار" النابلسي" ان هذه القصيدة بنيت على اصطلاحات صوفية، فيذكر الشاعر الخمرة باسمائها

واوصافها، ويريد بها معرفته وشوقه، فالمدامة هي المعرفة الالهية([37])، والحبيب في عباراته هو عبارة عن حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم او ذات الخالق عز وجل (38).

يقول ابن الفارض في خمريته:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً يَسْكِرُنَا بِهَا، مِنْ قَبْلُ انْ يُخْلَقَ الكَرَمُ
لَهَا البَدْرُ كَاسٌ، وَهِيَ شَمْسٌ، يُدِيرُهَا هِلالٌ، وَكَمْ يَبْدُو اذَا مُزِجَتْ نَجُمُ
وَلَوْ لا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانُهَا وَلَوْ لا سَنَاهَا مَا تَصَوّرَهَا الوَهْمُ
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَانَّ خَفَاهَا، فِي صُدُورِ النُّهَى، كَتْمُ
فَانْ ذُكِرَتْ فِي الحَيّ اصْبَحَ ا هْلُهُ نَشَاوَى، وَلا عَارُ عَلَيْهِمْ، وَلا اثْمُ
وَمَنْ بَيْنِ احْشَاءِ الدِّنَانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا، فِي الحَقِيقَةَ، الا اسْمُ (39)

فالخمر هنا رمز على المحبة الالهية وعليه تصبح المفردات المرتبطة بها ذات دلالات اخرى كالكرم، البدر، الهلال، الشمس...

وقد تفطن النابلسي لذلك فاحال هذه المفردات على اشارات ورموز فالكاس مثلا رمزا للانسان الكامل بوصفه افقا لتجلي المحبة ومظاهر للمقام الاعلى، ولهذه المدامة تحولات رمزية، فما الهلال والنجم الا تحولين من تحولات البدر[40]، فالمدامة في المعرفة الالهية التي تفيض انوار في جميع الكائنات شبيهة بالشمس في طلوعها وإشراقها. (41)

ISSN Online : 2709-4030
ISSN Print : 2709-4022
Vol6 No.1 2022

وفي الميمية بيت يعتبر ردًا على من اتهم ابن الفارض بشرب الخمر، فيقول ان سكره لا بالخمرة المعتصرة من العنب بل بالعزة الالهية التي هام بحبها:

وَقَالُوا شَرِبَتُ الاثْمُ، كَلا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ التِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الاثْمُ [42]

والخمرة الالهية تلك تجعل اصحابها في نشوة وتذهب عنه الظلمة فتشرق على قلوبهم انوار التجليات وحين يحصل لهم السكر يغيبون عن الاوهام، وتتحقق لهم معاني الاسرار اذ هو اغراء بشرب المدامة السماوية لانها مبدا كل سرور تضمحل معها خطوب الدهر ويعتري شاربها فرح وغبطة:

فَمَا سَكَنْتُ وَالهَمُّ يَومًا بِمَوْضِعِ كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَغَمِ الغَمُّ
فَلا عَيْشٌ فِي الدُنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِيًا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْ ا ر بِهَا فَانَّهُ الحَزْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكَ مَنْ ضَاعَ عُمُرُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلا سَهْمٌ

هوامش البحث و مصادره

(1)مامون غريب :ابن الفارض سلطان العاشقين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 , 2001 م، ص 37-38، وتاريخ الادب العربي، احمد حسن الزيات، دار الثقافة بيروت، صفحة 400.
(2)حنا الفاخوري : تاريخ الادب العربي، دار صادر بيروت، صفحة .356، و تاريخ الادب العربي، مذيل بقاموس يفسر ما غمض من الالفاظ والتراكيب صفحة 222.
(3) خير الدين الزركلي، الاعلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1994م (817/5).
(4) علي نجيب علوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، صفحة 27.
(5) قمر كيلاني، في التصوف الاسلامي، صفحة 141.
(6) المرجع السابق: صفحة 142، 143.
(7) المرجع نفسه، صفحة 144.
(8) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (352/4).
[9] مصطفى السيوفي :تاريخ الادب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثماارات الثقافية، مصر، ط1 2008 ، ص66.
[10] شرح ديوان ابن الفارض :تقديم عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت، د ط، د تا، ص186.
[11] مصطفى السيوفي :امراء الشعر في دولة بني العباس،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية,القاهرة, مصر,ط1,2008 ص 227 .
[12] ديوان ابن الفارض :شرح وتقديم :مهدي محمد نصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ 1990 م، ص224
[13] سورة البقرة :الاية: 189
[14] عاطف جودة نصر :شعر عصر ابن الفارض، دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الاندلس، بيروت، ط1 1986 ، ص16.
[15] علي نجيب عطوي :ابن الفارض شاعر الحب والغزل الالهي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1994م ، .ص27.
[16] يوحنا قمير :ابن الفارض مقدمات في التصوف، دراسة ادب مختار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط 3 د .تا، ص 35.
[17] المرجع السابق : ص 38.
[18] المرجع السابق :ص 39-40.
[19] المرجع نفسه :ص 36.
[20] عمر فروخ :التصوف في الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د تا، ص 143.
[21] المرجع السابق :ص148 -149.
[22] يوحنا قمير :ابن الفارض، مقدمات في التصوف، د راسة ادب مختار، ص36 .
[23] سورة المائدة :الاية 54 :، سورة البقرة :الاية 165 :، سورة آل عمرا ن :الآية:31.
[24] عاطف جودة نصر :شعر عمر بن الفارض، دراسة في فن الشعر الصوفي، ص251 .
[25] كمال اليازجي :المدخل الى د راسة الاديان والمذاهب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 ، 1954، ص20
[26] الموسوعة العربية العالمية :ج 15 ، مؤسسة اعمال الموسوعة، ط2 ، د تا، ص209
[27] عمر فروخ :التصوف فيه الاسلام، ص 147
[28] جان شوفلي: التصوف والمتصوفة، ترجمة :عبد القادر قنيني، بيروت، د ط، 1999 ، ص60
[29] ديوان ابن الفارض :تقديم :مهدي محمد نصر الدين، ص 11
[30] انيس المقدسي :امراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص457
[31] مامون غريب :ابن الفارض سلطان العاشقين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1 , 2001 م، ص 37-38
[32] المرجع نفسه : ص 40
[33] قمر كيلاني، في التصوف الاسلامي، ص 141.
[34] مامون غريب :ابن الفارض سلطان العاشقين،19 - 20 .
[35] السعيد بوسقطة :الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات يونة للبحوث والدراسات، ط2 2008م , ص111 .
[36] عاطف جودة نصر :الرمز الشعري عند الصوفية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، النيل، القاهرة، د ط, 1998م, ص328 .
[37] المرجع السابق :ص 366
[38] ديوان ابن الفارض :شرح :عمر فاروق الطباع، ص 147
[39] المصدر نفسه : ص147 - 148
[40] عمر فروخ :التصوف فى الاسلام، ص 149
[41] انيس المقدسي :امراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص457
[42] ديوان ابن الفارض :شرح :عمر فاروق الطباع، ص198